الفصل السابع

ملف الحقيقة المطلقة / والتحول في النموذج الديني

- **س (٧٩) : ما معنى الفكر المطلق ..؟!!**

ج : الفكر المطلق هو الفكر الذي تتفق عليه البشرية .. لأنه لا يحمل سوى معنى واحد لا يمكن الاختلاف عليه أو القول بآخر سواه . ويكون حكم هذا الفكر هو نفس حكم القانون الطبيعي أو المعادلة الرياضية التي تحمل نفس المعنى الواحد الذي لا يسمح بغيره أو بالتعدد أو التناقض أو التأويل . وبالتالي ؛ إذا قال علماء الدين بأن : " **كل فئة تعتقد أنها تمتلك الحقيقة** " .. فيكون معنى هذا أنهم يتكلمون عن " **حقيقة نسبية** " أو " **حقيقة محدودة أو مقيدة بفكرة معينة** " .. وليس عن " **الحقيقة المطلقة** " التي لا خلاف عليها من الكل . وهم بهذا المعنى يكونون قد أقروا ــ بدون وعي ــ بـــ " **نسبية القضية الدينية** " وليس بإطلاقها .

- **س (٨٠) : ما السبب في تأخر البشرية في الاعتقاد في دين واحد بدلا من الاعتقاد في أديان مختلفة ..؟!**

ج : باستثناء التسلسل التاريخي لنزول الأديان .. وعبث الإنسان بنصوصها لعدم نضوجه الفكري بعد ؛ فإن من أهم الأمور التي أخرت اعتقاد البشرية ــ حتى الآن ــ في وجود دين واحد بدلا من الاعتقاد في أديـــان متعددة هو : عدم وضوح معنى الدين (أنظر الفصل التالي) وعدم وضوح معنى الحقيقة المطلقة . ففي الواقع ؛ يكاد يكون هناك اتفاق ضمني ومعلن بين معظم اتباع الديانات المختلفة .. بأنه ليس هناك ما يمكن أن يسمى بـــ " **الحقيقة المطلقة** " . وكل ما يمكن أن يوجد ــ في أحسن الأحوال ــ هو " **حقيقة نسبية** " .. وهي رؤية يتبناها ــ على وجه الخصوص ــ علماء اللاهوت في الديانة المسيحية . وتأكيدا على هذا المعنى يقول **الدكتور القس : " إكرام لمعي " (رئيس المجمع الأعلى للكنيسة الإنجيلية بمصر ومدير كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة سابقا)** ..

[ينبغي إعادة تفسير مفهوم الحق .. فكل جماعة تعتبر أنها تمتلك الحق بشكل كامل لذلك فأي جماعة أخرى لا تمتلكه كاملا . لكن الحقيقة أننا لا نمتلك الحق ولكن هو الذي يمتلكنا ، ونحن نعبر عن ما نفهمه من الحق . فالحق المطلق أكبر وأعظم من كل المفاهيم البشرية والتفسيرات الإنسانية . وإن كان كل دين كامل فعليه ألا يسلب حق الآخر في أن يردد نفس المفهوم . فكل جماعة تؤمن أنها تمتلك الحق لكن هذا لا يدعونا أن نفرض ما نملكه على الآخرين ، لكن نقبل الآخر على المستوى الإنساني] [١٥]

أما الأنبا يوحنا قلته [١٦] **(المعاون البطريركي للأقباط البطريرك)** .. فهو ينفي قدرة الإنسان على امتلاك " **الحق المطلق** " .. حيث يقول نيافته :

[ليس في إمكان أي إنسان أن يمتلك الحق المطلق ..] . وبذلك هو يعني " غياب الحق المطلق من القضية الدينية " .

وكما نرى ؛ فإن كلا من الرؤيتين قد ألقت بتعريف الحق المطلق (أو الحقيقة المطلقة) على عاتق الفكر الإنساني .. وليس على عاتق الفكر الإلهي صاحب هذا الحق . تماما ؛ كما سبق وأن ألقت المسيحية بتعريف الدين على عاتق الفكر الإنساني وليس على الفكر الإلهي صاحب الدين .. ولهذا فشل الإنسان في صياغة تعريف واحد ومحدد للدين ..!!!

وقد سبق وأن بينت في كتابات سابقة بأننا جميعا نتفق على أن : " **الدين مصدره الله (ﷻ) وليس مصدره الإنسان** " . وبهذا المعنى تصبح " **الحقيقة المطلقة** " هي ملكية خالصة لله (ﷻ) الخالق المطلق لهذا الوجود وليس ملكية للإنسان . وبديهي ؛ أن هذه " الحقيقة المطلقة " يعلنها المولى (ﷻ) لعباده على لسان أنبيائه ورسله ــ في الدين ــ ليأخذوا بها .

وبناء على هذا ؛ فإن نفي وجود الحقيقة المطلقة إنما تعني أحد الاحتمالات الثلاثة التالية أو بعضها أو كلها :

---

[١٥] عن مقالــة : " تجديد الخطاب الديني .. وأسئلته .. وإجاباتها " . جريدة الأهرام في عددها رقم ٤٢٠٩٥ ؛ الصادر في : ٨ مارس ٢٠٠٢ .

[١٦] عن مقالــة : " الحوار الديني .. أسمى حوار " ؛ نيافة الأنبا يوحنا قلته (المعاون البطريركي للأقباط البطريرك) جريدة : " عقيدتي " .. في عددها رقم ٤٣٣ ؛ الصادر في ١٣ مارس ٢٠٠١ .

- نفي لقدرة الله (ﷻ) على ملكية الحقيقة المطلقة .
- نفي لقدرة الله (ﷻ) ــ في حالة ملكيته لها ــ على توصيلها لعبـــاده .
- نفي لقدرة الله (ﷻ) ــ في حالة ملكيته لها وقام بإعلانها ولم يفهمها الإنسان ــ على خلق إنسان لا يستطيع استيعاب معنى الحقيقة المطلقة .

وكما نرى ؛ فإن جميع هذه الاحتمالات السابقة تؤدي إلى معنى نقص القدرة .. أو نقص في الكمالات الإلهية .. وهو فكر مرفوض تماما .. فحاشا لله أن يتصف بمثل هذا النقص في كمالاته الإلهية ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ﴾

(القرآن المجيد : الروم {٣٠} : ٢٧)

ولا يصح القول بأن الله (ﷻ) لا يريد أن يعلن " **الحقيقة المطلقة** " للإنسان .. وإلا انتفت الغايات من خلق الإنسان ومن وجود الدين .. تحقيقا لقوله تعالى مخاطبا البشرية ..

﴿ .. فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٣٨ - ٣٩)

[فإما يأتينكم مني هدى : المراد هنا أن الله ــ عز وجل ــ سيبعث الأنبياء والرسل ومعهم كتاب الهداية / أي منهاج الدين .]

وهكذا ؛ لا يمكن أن ننكر أو نتنكر لوجود " **الحقيقة المطلقة** " وإمكانية امتلاكنا لها .. لارتباط معناها وملكيتها بالفكر الإلهي وقدرته على توصيلها للإنسان مخلوقه . ومن منظور الدين الإسلامي : " **فإن الوصول إلى الحقيقة المطلقة هو غاية الغايات من خلق الإنسان** " .. وهو ما يقابل : " **الإيمان العاقل** " أي الإيمان المبني على العقل وليس " **إيمان الحيوان** " الذي يقول به فلاسفة الغرب أمثال **جورج سنتيانا** (على النحو السابق بيانه في كتابات سابقة ؛ أنظر : الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري) . والإيمان العاقل هو الإيمان الذي يدعمه المنطق العلمي والرياضي السائد في النظريات العلمية والرياضية المعاصرة . ومن هذا المنظور أيضا

قام الدين الإسلامي بنقل القضية الدينية بكاملها من الحيز النسبي إلى الحيز المطلق .. ومن حيز الاعتقاد إلى حيز البرهان .. أي إلى حيز القضايا العلمية الراسخة .. كما قام بتوحيد النظرة إلى الدين باعتباره دينا واحدا صدر عن خالق مطلق واحد .. كما جاء في قوله تعالى في قرآنه المجيد ..

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣)

- **س (٨١) : هل يمكن تعريف " الحقيقة المطلقة " في إيجاز ..؟!**

ج : نعم يمكن ذلك .. حيث تتلخص " **الحقيقة المطلقة** " في احتوائها ــ في أقل معاني لها ــ على البنود التالية :

- وجود الخالق المطلق (ﷻ) للوجود المدرك وغير المدرك .. وهو صاحب الكمالات المطلقة (الأسماء الحسنى) . ويمكن البرهنة العلمية على ذلك .

- وجود الدين المطلق أو الدين الحق : وهو البلاغ الصادر عن الخالق المطلق لهذا الوجود (المدرك وغير المدرك) .. لتعريف مخلوقاته به (كمالات وفعل) .. وبالغايات من خلقهم (الإيمان العاقل .. أو الإيمان المبني على العقل) .. كما وأن عليهم تحقيق هذه الغايات (اتباع المنهاج الإلهي في تحقيق : العبادة / العمل الصالح / مكارم الأخلاق / الحق / العدل / الخير / .. إلى آخره) حتى يمكنهم الفــوز بالسعادة الأبدية المنشودة . ويمكن البرهنة العلمية على ذلك .

- الدين ليس " قضية وهمية من صنع خيال الإنسان " ، كما وإنه ليس " قضية اعتقاديه " قد يؤمن بها الإنسان أو لا يؤمن بــها .. أي لا برهان لها . بل الدين هو : " قضية علمية كلية " لها براهينها الراسخة مثل البراهين اللازمة لأي قضية علمية كبرى أخرى .

- وجود الأنبياء والرسل (وكتبهم المنزلة) وأنهم الوسطاء بين البشرية وبين الله عز وجل .. لتوجيهها إلى طريق السعادة الأبدية المنشودة .. ويمكن البرهنة العلمية على ذلك .. وهم القدوة البشرية للبشرية في السلوك ومكارم الأخلاق .. بمفهوم أعم وأشمل من فكر أبطال الشعوب .

- كفالة حرية الإنسان في اختيار العقيدة .. ولكن عليه تبعات هذا الاختيار .

- وجود الجنة .. ووجود النار .. ويمكن البرهنة العلمية على ذلك .

- وجود العوالم الأخرى (عالم الجن / عالم الملائكة / عالم الروح) .. والحياة الآخرة والبعث والحساب والجزاء من صنف العمل إن خيرا فخير .. وإن شرا فشر . ويمكن البرهنة العلمية على ذلك .

- الإنسان ليس المخلوق الوحيد لله في هذا الكون المادي .. بل يوجد مخلوقات أخرى وعوالم وأكوان أخرى ــ متراكبة ــ غيرنا . ويمكن البرهنة العلمية على ذلك .

- بيان طبيعة خلق الإنسان بمستوياته المختلفة .. النفس والروح والجسد (الغطاء) .. والأدوار التي يلعبها كل مستوى .

فهذا ما يمكن أن تعبر عنه " **الحقيقة المطلقة** " .. في " **الدين الحق** " وفي أقل الكلمات . والآن إذا قال المولى (ﷻ) ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ [١٧] وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

فلابد وأن يحوي القرآن المجيد كل البراهين العلمية الراسخة لكل ما سبق ذكره عن الحقيقة المطلقة . وهنا يصبح الدين المسئولية الإلهية تجاه الإنسان .. أي مسئولية الخالق تجاه المخلوق

---

[١٧] على سبيل الذكر (وليس المقارنة) لم تأت كلمة : " برهان " على الإطلاق في العهد القديم للكتاب المقدس بالكامل والذي يبلغ عدد صفحاته ١٣٥٨ صفحة .. كما لم تأت ذكر هذه الكلمة ــ برهان ــ على طول الأناجيل الأربعة بكاملها والبالغ عدد صفحاتها حوالي مائتي صفحة ..!!!

وتقديم البراهين الدالة ــ بمنطق رياضي مفهوم ــ على ضرورة تحقيق الإنسان للغايات من خلقه . فلا بد من التنبه إلى أن المنطق الإنساني هو عين المنطق الإلهي الذي أمدنا به أو ركبه فينا المولى (ﷻ) .. كما جاء هذا في قوله تعالى ..

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الإنفطار {٨٢} : ٦ – ٨)

وننهي الإجابة على هذا السؤال بالقول ؛ بأن الأخوة الإنسانية تحتم علينا ، كما يحتم علينا ذلك " الله " (ﷻ) أيضا ، أن نتساند ــ كما تساندنا في مجال العلم والتكنولوجيا ــ لإدراك معنى الحقيقة المطلقة .. وعلى الرغم من البساطة الشديدة لإدراك هذه الحقيقة ، إلا إنها بعيدة المنال لعدم إدراك الإنسان للمعنى الحقيقي للدين والغايات من الوجود ، وضرورة احتواء الدين الصحيح لـــ " الحقيقة المطلقة " .

- **س (٨٢) : يقول الفيلسوف (المصري) الدكتور مراد وهبه : يوجد ارتباط عضوي بين الحقيقة المطلقة والإرهـــاب ، والحل هو تغيير البنية الذهنية للإرهابي من خلال الفلاسفة والعلماء ..!!! كما يوجد فلاسفة آخرون يتهمون كل من يقول بامتلاك الحقيقة المطلقة بالدوجماطيقية [١٨] ..!!! ما مدى صحة هذه الاتهامات ..؟!!!**

ج : لقد رأينا في إجابة السؤال الأسبق (رقم : ٨٠) معنى الحقيقة المطلقة وارتباطها بالفكر الإلهي وقدرة الله (ﷻ) على توصيلها لعباده ، كما رأينا في إجابة السؤال السابق (٨١) أن كل بند من بنود تعريف **الحقيقة المطلقة** يستلزم البرهان العلمي عليه .. وهو ما يفرض قمة العقلانية على كل من يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة ؛ ولهذا يمثل الاتهام السابق ــ بالإرهاب ــ من جانب الفيلسوف وأمثاله عجزا فكريا في أشمل معانيه .. خصوصا وإنهم ــ أي الفيلسوف وأمثاله ــ قد فشلوا في تحديـــد معنى " **الحقيقة المطلقة** " .. كما لم يجدوا لها تعريفا ..!!! ولهذا يتملكني العجب ــ كل العجب ــ أن يتهم هؤلاء الفلاسفة كل من يقول بملكية " **الحقيقة المطلقة** " بالإرهاب أو الدوجماطيقية وهم لا يعرفون لها معنى .. وبدون محاولة فهم معناها ..

---

[١٨] **الدوجما (Dogma) هي العقيدة أو المبدأ الذي يقبل بدون بيّنة أو دليل أو برهان . والشخص الدوجماطيقي (The Dogmatic person) هو الشخص الذي يعتقد في صحة العقيدة أو المبدأ بدون بيّنة أو دليل أو برهان . وبديهي الدين الإسلامي والشخص المسلم أبعد ما يكون عن هذه المعاني .**

وهو ما يحق لنا أن نتهمهم بالتعصب والجهل في الخطاب ..!!! وخصوصا أن هذا الفيلسوف ــ مراد وهبه ــ سبق وأن **رفض مبدأ الحوار معي** على نحو مطلق .. سواء الفلسفي منه أو الديني وإلى حد الهروب من المواجهة .. مما اضطرني أن أسجل عليه هذا الهروب في مرجعي السابق : " **الحوار الخفي .. الدين الإسلامي في كليات اللاهوت** " (مكتبة وهبة) .

ويبقى أن أتوجه بسؤال أخير إلى هذا " الفيلسوف الهارب " : **كيف تقترح تغيير البنية الذهنية للإرهابي من خلال الفلاسفة والعلماء .. بدون وجود أي حوار مع هذا الإرهابي ــ على حد زعمك ــ وخصوصا أنت أول من لاذ بالفرار من المواجهة .. ومن الحوار ..؟!!!**

- **س (٨٣) : حول معنى الدراسات الدينية ونقدها : يؤكد الأستاذ الدكتور المترجم لكتاب : " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " [١٩] للكاتب البريطاني " جفرى بارندر " على أن : " الميزة الأساسية للكتاب أنه يعرض للديانات المختلفة من زاوية أكاديمية وموضوعية بعيدة عن التقييم ، أو الأحكام الذاتية التي نعاني منها .. " .. ما مدى دقة وصواب هذا المنظور ..؟!**

ج : بديهي البعد عن التقييم لا يمثل ميزة ما ... بأي حال من الأحوال ، بل هو ــ في الواقع ــ ضعف وفشل في فكر المؤلف ذاته ، وقصور في إمكاناته التقنية أيضا ..!!! فالبعد عن التقييم إنما يعنى ــ فيما يعنى ــ أن المؤلف يفتقر إلى الفكر الكافي الذي يعينه على وضع المقياس أو المقاييس اللازمة والمناسبة التي تمكنه من تقييم الدين المعنى بالدراسة . ومن ثم ؛ يصبح المرجع السابق ليس بكتاب فكر ، بقدر ما هو " **تقرير لواقع غير مفهوم** " يحياه الإنسان الآن .. بنفس فشله .. وبنفس مشاكله القديمة ..!!! فليس القيمة ــ كل القيمة ــ تكمن في معرفة فكر ديانة ما ..!!! بقدر ما القيمة ــ كل القيمة ــ تكمن في الدراسة النقدية لها .. ومعرفة ما هو

---

[١٩] " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " ؛ جفرى بارندر . ترجمة أ. د. / أمام عبد الفتاح إمام (أستاذ ورئيس قسم الفلسفة ــ جامعة الكويت) ، ومراجعة : د. / عبد الغفار مكاوى . الناشر : مكتبة مدبولى للنشر والتوزيع . والكتاب الأصلى ــ عن الإنجليزية ــ هو :

" World Religions: From Ancient History to the Present "; Editor: Geoffrey Parrinder. Facts on File Publications, New York, New York. Bicester, England

والمؤلف : جفرى بارندر (١٩١٠ - ؟) : رُسِّم قسيسا فى الكنيسة الإصلاحية فى عام ١٩٣٦ ، وحاضر فى الاديان إبتداء من عام ١٩٤٩ . ثم أصبح أستاذا للأديان المقارنة بكلية اللاهوت بجامعة لندن بإنجلترا ، ثم عميدا للكلية وأستاذا للأديان المقارنة بكلية الملك بجامعة لندن من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٧ ، وله عدة مؤلفات عن مقارنة الأديان منها الكتاب المذكور الذى ترجم إلى العربية .

خطأ وما هو صواب .. حتى يمكن استبعاد ما هو خطأ واعتناق ما هو صواب عن يقين وبرهان لا عن ميراث ديني أعمى بلا تعقل . فلا بد من التنبه إلى أن للوجود غايات .. كما وأن للخلق غايات على الإنسان تحقيقها . وأول هذه الغايات هو معرفة الدين الحق من بين الديانات الوثنية ، لأنها أول الطريق الصحيح لتحقيق هذه الغايات .

ثم يبقى السؤال الأخير الذي يقفز إلى الذهن ، كناتج طبيعي من سياق الأستاذ الدكتور **المترجم** لهذا الكتاب السابق وهو : ألا يكفى عـــرض الديانات المختلفة من زاوية أكاديمية ، ومن زاوية موضوعية ــ كما يقول بهذا المترجم ــ لأن ينتهي الفرد العادي بعد قراءة هذا العرض الأكاديمي والموضوعي إلى رؤية الدين الصواب من بين الديانات الخاطئة ..؟! وبديهي الإجابـــة على هـــذا السؤال هو : الإيجاب بالقطع ..!!! إذ يكفى عرض الأديان ــ بفهم وأؤكد على كلمة بفهم ــ من زاوية أكاديمية وموضوعية (وهو الشيء الذي لم يصبه المؤلف في عرضه) حتى يسهل على الفرد العادي ــ فما بال الفرد المتخصص ــ أن يتبين بسهولة شديـــدة : الديانة (أو العقيدة) الخطأ ، من الدين (أو العقيدة) الصواب . وطالما لم ينته الكاتب بعد عرضه للأديان بطريقة أكاديمية وبطريقة موضوعية (كما يقول بهذا المترجم) إلى معرفة الديانات الخطأ من الدين الحق أو الصواب ، وطالما لم يتبين المترجم نفسه هذه المعاني ..!!! **فبديهي يصبح عـــرض أديان العالم في كتاب " المعتقدات الدينية لدى الشعوب " لم يتم ــ كما قال بهذا السيد المترجم ــ لا من زاوية أكاديمية ، ولا من زاوية موضوعية** [٢٠] ..!!!

وأكرر القول .. بأن الخلق .. ليس عبثا أو لهوا إلهيا ..!!! بل هو وجود .. وغايات .. ومصير .. له براهينه الراسخة .. فهو ليس عشوائيات فكرية تبحث عن مبرر لوجودها ..!!! وبهذا لا يمثل المرجع السابق ــ **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** ــ كتاب هداية ما ، بقدر ما يمثل عرضا نمطيا لا يتسم بالفهم لما هو موجود بالفعل ، ليترك الإنسان في نفس المكان ، وفى نفس الحيرة ، وفى نـــفس التيه الذي بدأ به قراءته لهذا الكتاب . فالكتاب لم يحل مشكلة ، أي مشكلة خاصة بموقف الإنسان تجاه الدين أو التدين ..!!! وهو لم يؤكد إلا على وجود الفطرة الدينية ــ وبطريقة ضمنية ــ التي تدفع الإنسان نحو اعتناق دين ما .. أي دين ..!!! **أما الحقيقة المطلقة فهي بعيدة كل البعد عن منال كل من : الكاتب ، والكتاب ، والمترجم معا ..!!**

---

[٢٠] **لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى مرجع الكاتب السابق : " الدين والعلم وقصور الفكر البشري " مكتبة وهبة .**

- **س (٨٤) : هل يمكن الحكم على خطأ أو صواب ديانة ما .. بدراسة ذاتية محايدة بعيدة عن الدراسات المقارنة مع أي ديانات أخرى ؟**

ج : نعم .. بالقطع يمكن ذلك . أي أنه يمكن القيام بدراسة أي ديانة (أو دين) على حدة وباستقلالية تامة عن الديانات الأخرى لإقامة الدليل أو البرهان القاطع على صحتها أو خطئها بشكل نهائي وقطعي ، وذلك بدون الدخول في أي مقارنات مع الديانات الأخرى . وربما كان هذا واقعا ؛ نظرا لإطلاق معنى القضية الدينية وليس نسبيتها ، أي أن الحق في الدين هو " **حق مطلق** " **وليس** " **حق نسبى أو حق مقارن** " . ويمكن ، بعد تقديم هذه الدراسة التقييمية ، أن تعقد المقارنات الدينية في مرحلة لاحقة ، بعد تحديد صحة الديانة أو بطلانها ، كضرورة يقتضيها حال اعتقاد الإنسان فيما هو حق .. والإعراض عن ما هو باطل .

- **س (٨٥) : هل يمكن للديانة أن تصيغ " البرهان الذاتي " لها .. والذي يمكن استخدامه في البرهنة على صحتها ، بدون الحاجة إلى تحديد مرجعية مطلقة يمكن الاستناد إليها في هذا البرهان ..؟!**

ج : في الواقع .. يمكن ذلك ؛ فليس مُهما على الإطلاق تحديد " المرجعية المطلقة " التي يمكن أن تستخدم في البرهنة على صحة أو بطلان الديانة ؛ حيث يمكن للديانة ــ نفسها ــ اختيار ما تشاء من الأسس لتحديد المرجعية الذاتية الخاصة بها (أي تحديد الفروض والمسلمات الأساسية التي تبنى عليها الديانة أسس الاعتقاد في صحتها) ، ثم تقوم الديانة نفسها بإعطاء الدليل أو البرهان المادي والكافي في صورة تجارب معملية أو كونية دالة على صحة هذه الفروض أو المسلمات المفروضة . وإقامة الدليل المادي ــ هنا ــ ليس ترفا فكريا ، بل هو شرط ضروري ولازم لصحة الديانة ، ويمكن أن يصبح كافيا أيضا .. خصوصا إذا كان مدعما بتجارب معملية أو قياسات كونية كافية . وفى هذه الحالة ــ وبعد إقامة البرهان على صحة هذه المرجعية ــ يمكن قبول هذه الفروض والمسلمات على أنها حقائق ثابتة ومدعمة بالتجارب الكافية ، ليتم استخدامها ــ فيما بعد ــ في شرح معنى النظام الديني .. واستخراج الحقائق الخاصة بمعنى الوجود والقصد من وراء الغايات إن وجدت . وهنا تكون الديانة قد أقامت " البرهان الذاتي " على صحتها ، وصحة ما جاءت به من فروض ومسلمات دينية .

- **س (٨٦) : هل يمكن صياغة بنود لـ " <u>البرهان العام</u> " للدلالة على صحة أية ديانة بتحديد مرجعية مطلقة ــ صالحة للاستخدام لكل الأديان ــ يمكن أن يستند إليها الفكر الإنساني ويستخدمها في البرهنة على صحة أية ديانة أو بطلانها ..؟!**

ج : الإجابة : نعم بالقطع ..!!! فيمكن تحديد هذه " **<u>المرجعية المطلقة</u>** " (أي تحديد الفروض والمسلمات الأساسية) منذ البداية وبشكل مستقل عن الديانة ذاتها ، بغض النظر عن الديانة الخاضعة للدراسة . وفى هذه الحالة يصبح البرهان الديني هو " **برهان عام** " ، لا يتوقف على مضامين الديانة ذاتها ، حيث لا تقدم الديانة ــ في هذه الحالة ــ هذه المرجعية . وهنا تصبح الدراسة نوعا من دراسة التناظر بين فروض ومسلمات ومضامين الديانة المعنية بالدراسة وبين " المرجعية المطلقة " المفروضة والتي تم تحديدها سلفا .. ومدى تحقيق الديانة لبنود هذه المرجعية المطلقة . أو بمعنى آخر ، تصبح الدراسة نوعا من تحقيق الدين لشروط هذه " المرجعية المطلقة " التي سبق تحديدها من قبل .

وبديهي يمكن ــ بسهولة ــ تحديد مثل هذه " المرجعية المطلقة " بما يتفق والمنطق البشرى المعتاد والفطرة السوية ، فلا غموض ولا لبس ، ولا بعد عن الواقع أو الفكر أو المنطق العلمي عند تناولنا للقضية الدينية (حيث أن المنطق الإنساني هو عين المنطق الإلهي لأن الأخير هو مصدره) . ويمكن تقسيم هذه " المرجعية المطلقة " إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

<u>القسم الأول : ويختص بمعطيات النص الديني وطبيعته ، وينبغي أن يحوى الآتي</u> :

- لابد وأن تحتل المعطيات الدينية الحيز العقلي لدى الإنسان .
- عدم تناقض المعطيات الدينية مع مفردات وموجودات العلم الحديث ونتائجه .
- ألا يكون هناك تناقض ذاتي بين المضامين الدينية مع بعضها البعض ، فالتناقض الذاتي يكفى بأن يقضى على ــ أو يهدم ــ أي نظرية علمية مهما كانت صحة النتائج الجزئية التي تؤدى إليها هذه النظرية .
- أن تتسم معطيات الدين بتوسيع مدارك الإنسان ، مع إعطاء المعنى الكافي عن معنى وجود الإنسان ، والغايات من خلقه ، ومنتهى مصيره ، كل هــذا ببراهين كافية وقاطعة .
- ألا يتناقض النص الديني مع قانون الفطرة الأخلاقي لدى الإنسان .

- أن يقدم الدين أسلوب البرهان المادي الخاص به ، والذي يؤكد صحة ما يأتي به من مضامين ومسلمات .
- أن يتحرك النص الديني (صياغة ومعنى) مع التقدم الحضاري للإنسان ، وإلا أصبح الدين " **منتج ثقافي** " ، أي مرتبط بالبيئة المحيطة المحلية وثقافتها وقت التنزيل . فثبوت معنى النص الديني وقصوره على المفهوم الماضي وقت التنزيل ، إنما يعنى ــ فيما يعنى ــ أن الخالق (وهو مصدر الدين) لم يأخذ في الاعتبار التطور العلمي والحضاري الذي سوف يلحقه " **هو** " أو يجريه على الإنسان مخلوقه على مدار حضاراته المحتملة والمتوقعة ، وهو مـــا يعنى التناقض مع فكر العلم والإحاطة والكمال الإلهي .

القسم الثاني : ويختص بالفكر الإلهي وطبيعته :

- لابد أن يتصف الإله ــ في الديانة ــ بالكمالات المطلقة ، مع تحديدها بدقة كافية ، فلا مكان لإله يتصف بصفات إنسانية متدنية ، أو بصفات وثنية أسطورية ، كما لا يقبل أن يكون الإله شكلا من أشكال مخلوقاته .. بالذات الحيوانات ..!!!
- يجب أن تتعالى وتتناهى حكمة ــ الإله ــ فوق الحكمة البشرية بل وتحويها . فلا مكان ــ في ديانة ما ــ لإله أحمق ، أو إله متسرع ، أو إله لا يدرى ماذا يفعل ..!!!
- أن يحدد الإله ــ بدقة ووضوح ــ غاياته من خلق هذا الوجود ، ومنها خلق الإنسان على وجه الخصوص . كما عليه تحديد " ماهية الإنسان " ، ومكانه ومصيره في بانوراما الوجود .. وعليه أن يقدم البرهان اللازم والكافي على كل ما يقدمه .
- أن يكون الإله هو مصدر الدين ، وليس الدين هو مصدر الإله . أو بمعنى آخر ؛ يجب أن تكون بصمات الإله واضحة الدلالة على النص الديني (صياغة ومعنى) .. وليس بصمات الإنسان . كما يجب أن يبين الإله ــ من خلال النص الديني ــ علاقته بالأديان الأخرى .. فلا معنى لدين مستقل عن واقع يحياه الإنسان ، في ظلال من التخبط وعدم وضوح الرؤية العقلية والدينية .
- لابد وأن يبرهن " **الإله الخالق** " على وجوده وعلى فطريته في النفس البشرية بشكل قاطع . ولا تجاوز ــ هنا ــ في النص .. فالمنطق .. هو منطق " الخالق " حتى وإن أجراه على لسان البشر ، لأنه ــ **هو** ــ مصدره .

القسم الثالث : ويختص بفكر البلاغ والرسل :

- أن يقوم الدين بتحديد وتعريف كيفية اتصال الخالق بمخلوقاته .
- أن يبين الدين ــ وهو المتوقع ــ أن الاختيار الإلهي للأنبياء والرسل لا يتم عشوائيا ، بل هو اختيار له قوانينه وقواعده الصارمة .
- أن يبين الدين أن الأنبياء والرسل هم الصفوة البشرية للتبليغ عن الإله فيما يبغيه من مخلوقاته ، والغايات من خلقها . فالأنبياء والرسل هم النماذج الأولى في تطبيق المنهاج والشرع الإلهي ، لذا لابد وأن تكون صفاتهم هي " **الذروة في الكمال الإنساني المحدود** " ، حيث أنهم يمثلون القدوة البشرية للبشرية ، وذلك بمفهوم أرقى كثيرا عن مفهوم أبطال الشعوب .

وربما كانت هذه البنود السابقة ، هي الخطوط العريضة التي يمكن أن تحكم صحة أو خطأ الديانة المعنية بالدراسة .. ويعرف البرهان الذي يتم باستخدام هذا الأسلوب المقارن باسم " **البرهان العام** " . ومن الأمور البديهية كناتج طبيعي من استخدام البرهان العام أنه لا مكان لديانة نصوصها لا عقل فيها . ولا مكان لديانة يكون " **الإله** " في نصوصها بلا كمالات ، أو على صورة حيوان ، أو مسخ أحمق .. تتعالى عليه مخلوقاته البشرية حكمة وذكاء وبلا حدود . وبديهي أيضا ؛ لا مكان لديانة تخبرنا نصوصها أن أنبياءها زناة وقتلة وسفاحين وخونة ...!!! ولا مكان لديانة تطفح نصوصها بفواحش الأخلاق في أحط صورها ، وأقذر معانيها [٢١] ...!!! ولا مكان لديانة لا تعطينا من البراهين الواضحة والكافية للحكم على صحة ما جاء بها ...!!!

وبتطبيق مثل هذا البرهان على الديانتين اليهودية والمسيحية .. نجد أنهم يفشلون فشلا ذريعا في تحقيق أي بند من البنود السابقة .. وهو ما يعني خروجهم من دائرة الحقيقة المطلقة بجدارة وعلى وجه مطلق ..!!!

- **س (٨٧) : ماذا يمكن أن يؤدي إليه وجود " الحقيقة المطلقة " في الدين ..؟!!!**

ج : في الواقع ؛ يؤدي وجود " **الحقيقة المطلقة** " مباشرة إلى معنى : **" التحول في النموذج الديني " .**

---

[٢١] أنظر : " الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان " / الفصل الثالث : التجربة البشرية مع الديانتين ... اليهودية والمسيحية " . نفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

- **س (٨٨) : ما معنى التحول في النموذج ..؟!!!**

ج : *التحول في النموذج* : هو تعبير أكاديمي يستخدم في مناهج البحث العلمي ***ويعني النقلة النوعية في الفكر الإنساني عندما تتغير إحدى الفرضيات الأساسية التي كانت سائدة فيه لفترة زمنية طويلة*** . ولم يسجل التاريخ الإنساني سوى تحولين فقط في النموذج . **التحول الأول :** حدث عندما اكتشف " **نيقولاوس كوبرنيكوس** " (**Nicolaus Copernicus** عالم فلك بولندي / ١٤٧٣ – ١٥٤٣) أن الأرض هي التي تدور حول الشمس .. وليس الشمس هي التي تدور حول الأرض . وبذلك قلب كوبرنيكوس معطيات علم الفلك القديم ، عندما تغيرت نظرتنا إلى العالم من النظام البطليموسي (الأرض مركز الكون) والذي كان تتبناه الكنيسة إلى **النظام الكوبرنيكي** (الشمس هي مركز الكون .. أو بمعنى أدق الشمس هي مركز النظام الشمسي وليس الأرض) . **ولم تستقر نظرية كوبرنيكوس بشكل نهائي .. إلا مع اكتشاف نيوتن (١٦٤٢ – ١٧٢٧) لقانون الجذب العام حوالي سنة ١٦٨٦ . أي أن الاقتناع بفكرة كوبرنيكوس قد استغرقت حوالي مائة وخمسين عاما حتى استقرت في نفوس الناس** . وهكذا استغرق التحول في هذا النموذج إلى حوالي مائة وخمسين عاما .. حتى أمكن استيعابه ..!!!

أما التحول الثاني في النموذج : فقد حدث عندما أضاف الرياضي الروسي " **هيرمان منكاوسكي**" (عالم رياضي روسي / ١٨٦٤ – ١٩٠٩) الزمن كبعد رابع إلى الفضاء ــ ونسبت هذه الفكرة فيما بعد إلى العالم اليهودي الألماني : ألبرت آينشتاين .. وبذلك أصبحنا نحيا في عالم رباعي الأبعاد .. ولم تتبلور هذه الفكرة حتى الآن (وبعد مضي مائة عام على ظهورها) إلا في فكر العلماء والمتخصصين فقط [٢٢] .. وفي إطار عملهم الأكاديمي فحسب .

- **س (٨٩) : ما معنى التحول في النموذج الديني ..؟!!!**

ج : التحول في النموذج الديني هو : الانتقال بالقضية الدينية من حيز التعدد النسبي إلى حيز الواحد المطلق . وهنا يمكن معالجة القضية الدينية بنفس خطوات وأسلوب معالجة القضايا والنظريات العلمية . وبالتالي يصبح لدينا المقاييس الحقيقية (**The true measures**) للحكم على صحة الدين الحق من بين الديانات الباطلة .

---

٢٢ أضافة الزمن كبعد رابع أضاف " مركبة رابعة : **Forth component** " للكميات المتجهة (**Vectors**) وبالتالي أصبح التعامل مع الكميات المتجهة على أساس أربع مركبات بدلا من الثلاثة المعتاد استخدامها .

- **س (٩٠) : ما هي قيمة التحول في النموذج الديني ..؟!!!**

ج : في الواقع ؛ ترجع قيمة التحول في النموذج الديني إلى بيان المعنى الحقيقي للدين .. وكذا الحكم على صحة الدين من خلال المنهاج العلمي والاستقراء والاستنباط الرياضي . وهو ما يؤدي ــ في النهاية ــ إلى اكتشاف معنى الحقيقة المطلقة من جانب .. والغايات من خلق الإنسان ووجوده من جانب آخر . وهو ما يعني تحقيق السلام على الأرض بأعم وأشمل معانيه وهنا يصبح تنافس الإنسان على القيم ومكارم الأخلاق تحقيقا لقوله تعالى .. ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (الحجرات : ١٣) . بدلا من الاستغراق في التوحش والحيوانية الذي ينادي بهذا مذهب " **الدارونية الاجتماعية** " .. وبهذا يصبح مبدأ ﴿ .. **مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ (المائدة : ٣٢) .. هو المبدأ السائد على الأرض (أنظر كذلك فصل : ملف العولمة .. من هذا الكتاب) .

* * * * * * * * * * * *